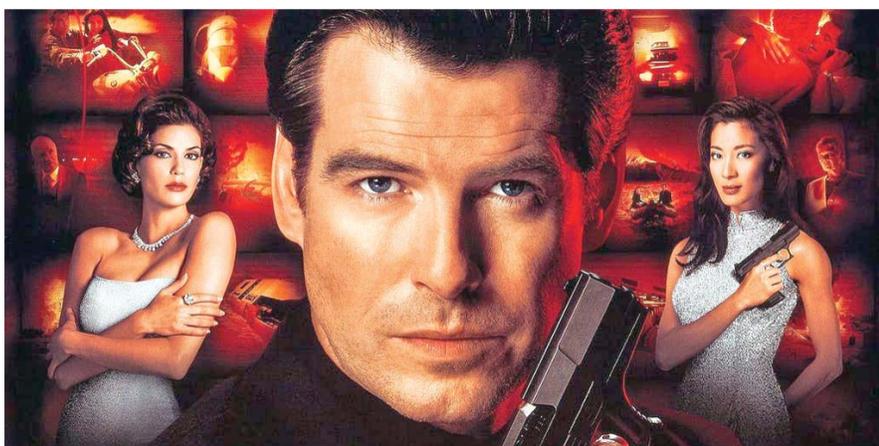


دور المخابرات المركزية الأميركية في هوليوود

رقابة البنتاغون وتدخل السي.إي.إي. ومن يلعب بالنار يحترق بها



واجه فيلم «المجدد» اعتراضاً من جانب السي.إي.إي.



اعتترضت الرقابة العسكرية على فيلم جيمس بوند «غدا لا يموت»

صورا لروبرت دي نيرو مع شخصيات مختلفة. يقول مؤلفا الكتاب إن قدرة المخابرات المركزية على التدخل في سيناريوهات الأفلام، ترجع إلى سنوات النشأة الأولى لذلك الجهاز الجبار في أواخر الأربعينات وخمسينات القرن الماضي.



عبارة مزاحة في «غدا لا يموت» قوبلت باعتراض الرقابة العسكرية

ويوضحان مثلا، كيف تمكن لسنوات طويلة، من منع أي ذكر للوكالة في الأفلام ومسلسلات التلفزيون إلى حين ظهر فيلم هيتشكوك الشهير «الشمال من الشمال الغربي» عام 1959. وترتب على ذلك رفض طلبات كثيرة تقدم بها منتجو هوليوود، «ثلاثون دقيقة بعد منتصف الليل» Zero Dark Thirty (قتل أسامة بن لادن) وحذفت مشهدا لضابط مخابرات سكران كان يطلق النار في الهواء من فوق سطح مبنى في إسلام آباد، كما حذفت الكلاب من مشهد للتعذيب.

والرقابة على أفلام هوليوود غير مباشرة، ولا تعتبر عرفا ثابتا، لكن المثير للدهشة أن الكثير من منتجي الأفلام يقبلونها طواعية، فهم يبحثون عن دعم مباشر من المؤسسات العسكرية والاستخباراتية معهم. ولكن القاعدة هي أن «من يلعب بالنار، يحترق بها»!

أن تشيس براندون ضابط الاتصال الذي يمثلها في مكتب هوليوود، كثيرا ما يتدخل خلال المراحل الأولى من عملية الكتابة في الكثير من المنتجات التلفزيونية والأفلام. وقد قام براندون - على سبيل المثال - بدور بارز في فيلم الجاسوسية «المجدد» The Recruit، فقد وضع شخصية عميل جديد في الفيلم، يخوض برنامج التدريب الخاص بالمخابرات المركزية، وهي وسيلة لجذب الجمهور إلى عالم المخابرات وإعطائهم لمحة عما يدور وراء الستار. وقد كتب براندون المعالجة الأصلية للقصة، والمسودات المبكرة للسيناريو، إلا أن اسمه ظهر على الشاشة كمستشار تقني للتغطية ويحتوي فيلم «المجدد» على بعض عبارات الحوار حول مخاطر مرحلة ما بعد زوال الخطر الشيوعي (لتبرير زيادة ميزانية الإنفاق العسكري إلى 600 مليار دولار) وكذلك استبعاد فكرة أن السي.إي.إي. فشلت في منع هجمات 11 سبتمبر 2001. مع تكرار القول بأن «إخفاقات الوكالة معروفة، وقد ساهم كل هذا في تصويرها بوسط عالم فوضوي خطير يمتلئ بالعنف والإرهاب.

مارست وكالة المخابرات المركزية أيضا مراقبة السيناريوهات، وغيرت في المسلسلات التلفزيونية، واستبعدت كل ما لا تريد أن يراه المشاهدون. وعلى سبيل المثال راجعت الوكالة سيناريو فيلم «ثلاثون دقيقة بعد منتصف الليل» Zero Dark Thirty (قتل أسامة بن لادن) وحذفت مشهدا لضابط مخابرات سكران كان يطلق النار في الهواء من فوق سطح مبنى في إسلام آباد، كما حذفت الكلاب من مشهد للتعذيب. وحتى في الفيلم الكوميدي الرومانسي الشهير «قابل الآباء» (2000) Meet the Parents، طلب براندون تغيير المشهد الذي يتكشف فيه بن ستيلر على مكتب والد زوجته (روبرت دي نيرو) وناثق تشير إلى دور المخابرات المركزية في ممارسة التعذيب، وقد غيرها براندون وجعلها

يمكن من الحصول على الدعم العسكري، بسبب الجوانب المثيرة للجدل سياسيا الموجودة في السيناريو. ولكن من المستحيل معرفة مدى انتشار هذه الرقابة العسكرية على الأفلام، لأنه لا يزال من المحظور الإطلاع على الكثير من الملفات. وغالبية الوثائق التي حصل عليها مؤلفا الكتاب، هي تقارير أقرب إلى اليومية كتبها المسؤولون عن مكاتب الاتصال في هوليوود، وهي نادرا ما تشير بطريقة واضحة ومباشرة، إلى التعديلات التي خضعت لها سيناريوهات الأفلام. ورغم ذلك، تكشف الوثائق أن وزارة الدفاع تتدخل في أي مشروع يطلب أصحابه الدعم، وأحيانا يتم إجراء تعديلات بعد الانتهاء من التصوير. وتكشف الوثائق أيضا أن الرقابة العسكرية في هوليوود تتدخل في المراحل الأولى لكتابة سيناريو الفيلم، أي في مرحلة تشكيل الشخصيات والأحداث، لتتم صياغتها وفقا لما يراه العسكريون.

دور المخابرات المركزية

على الرغم من المساعدات الأقل حجما التي تقدمها لصناعة السينما الأميركية وكالة المخابرات المركزية إلا أنها تتمتع بنفوذ كبير على بعض المشاريع التي تدعمها. إنها لا تتدخل بشكل رسمي مباشر في مراجعة السيناريوهات، إلا

بينما يضع الباحث لورانس سويد صلة الفيلم بوزارة الدفاع تحت عنوان «تعاون غير معترف به». أما البنتاغون نفسه فيذكر دوره بوضوح في نهاية الفيلم. وقد حصل مؤلفا الكتاب على نسخة من اتفاق تعاون بين منتجي الفيلم والبنتاغون! والواضح أن موضوع فيتنام من المواضيع المؤلمة عند البنتاغون، وهو ما أدى إلى إزالة ما يشير إلى الحرب الفيتنامية من سيناريو فيلم «المارد» عام 2003. The Hulk. وبينما لا يأتي ذكر لدور البنتاغون في نهاية الفيلم، إلا أن مؤلفي الكتاب حصلوا على وثائق وثيقة من وثائق مشاة البحرية الأميركية، تكشف تفاصيل التعديلات الجوهرية التي أدخلت على سيناريو الفيلم.

من ضمن هذه التعديلات، جعل المختبر الذي يتم فيه خلق «المارد» بطريق الخطأ، في منشأة غير عسكرية، وجعل مدير المختبر عسكريا سابقا، وتغيير الاسم الرمزي لعملية القنص على المارد من «رانش هاند» Ranch Hand إلى «رجل غاضب». لماذا؟ لأن «رانش هاند» هو اسم عملية عسكرية حقيقية قامت بها الطائرات الأميركية الحربية حينما ألقت ملايين الغالونات من المبيدات الحشرية وغيرها من السموم في المزارع الفيتنامية، مما أدى إلى تسمم الملايين من البشر. وشملت التعديلات أيضا حذف الحوار الذي وردت فيه الكلمات التالية: «كل هؤلاء الأولاد، وخنازير غينيا، والموت من الإشعاع، والحرب الجرثومية»، وكلها تشير بوضوح إلى التجارب العسكرية السرية التي تجرى على البشر.

وتكشف الوثائق التي اطلع عليها مؤلفا الكتاب أن البنتاغون لديه القدرة على منع إنتاج فيلم عن طريق رفض تقديم أي دعم له. وتعتمد بعض الأفلام مثل «مدفع القنم» Top Gun و«المحولون» Transformers و«فعل البطولة» Act of Valor على التعاون مع الجيش بدليل أنه لم يكن ممكنا أن تنتج دون الخضوع لما يفرضه هذا التعاون. من جهة أخرى، رفض البنتاغون دعم فيلم «إجراءات مضادة» Countermeasures، وبالتالي لم يتم إنتاجه أبدا. وكان أحد أسباب الرفض أن النص يتضمن ما يشير إلى فضيحة إيران كونترا، وكان رأى ستروب أنه «لا توجد حاجة إلى تذكير الجمهور بموضوع إيران - كونترا». وبالمثل، لم يتم إنتاج فيلم «حقوق النار» لأنه لم

Transformers، وسلسلة أفلام مارفل Marvel وغيرها. ويكشف مؤلفا «سينما الأمن القومي» كيف حصلت العشرات من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية على دعم من وكالة المخابرات المركزية، بما في ذلك فيلم جيمس بوند الشهير «كرة الرعد» Thunderball وفيلم توم كلانسي المثير «اللعاب وطنية» Patriot Games وفيلم «قابل الآباء» Meet the Parents. بل إن وكالة المخابرات المركزية ساعدت في عمل حلقة من مسلسل Top Chef تمت استضافتها في مقر المخابرات المركزية في لانجلي، وظهر فيها مدير الوكالة آنذاك ليون بانيتا وهو يضحى بتناول الحلوى، لكي يذهب إلى اجتماع عاجل!

الرقابة العسكرية في هوليوود

يقول الكتاب إنه إذا أراد كاتب سيناريو أو منتج سينمائي الحصول من البنتاغون على المساعدة، يتعين عليه إرسال نص السيناريو إلى مكتب الاتصال لفحصه. ويرجع القول الأخير في هذا الأمر، إلى فيل ستروب، مسؤول الاتصال في هوليوود مع وزارة البنتاغون. وإذا وجد ستروب أن هناك شخصيات أو مشهرا ما أو حوارا ما، لا توافق عليه وزارة الدفاع، يتعين على صانع الفيلم إجراء تعديلات على السيناريو. وإذا رفض فقد يمتنع البنتاغون عن تقديم أي مساعدة. بل ومن أجل الحصول على التعاون الكامل، يتعين على منتجي الأفلام التوقيع على عقود يصبحون بموجبها ملتزمين باستخدام النسخة المعتمدة من البنتاغون. يؤدي هذا أحيانا، إلى وقوع بعض المشاكل، كان يقتر الملثون والمخرجون التحرش من هذا القيد أو الإرتجال خارج السيناريو المعتمد.

ويذكر الكتاب أنه في قاعدة إدواردز الجوية أثناء تصوير فيلم «الرجل الحديدي» The Iron Man، وقعت مواجهة غاضبة بين ستروب مسؤول الاتصال مع هوليوود، ومخرج الفيلم جون فافرو. فقد أراد فافرو أن يجعل شخصية ضابط يقول «كثيرون على استعداد لقتل أنفسهم للحصول على ما اتمتع به من فرص»، لكن ستروب اعترض. وأصر فافرو على أن العبارة يجب أن تبقى في الفيلم، ووفقا لما ذكره ستروب «لقد غضب كثيرا وشعرت أيضا بالغضب. كان الأمر صعبا للغاية، ثم قال: ماذا لو استبدلنا عبارة «يقتلون أنفسهم» بـ«يسيروا فوق فحم ساخن» ووافقت. وفوجئ هو بأن الأمر من بسهولة. وما حدث أن العبارة لم تذكر في الفيلم في نهاية المطاف!

ويبدو أن أي إشارة إلى فكرة انتحار رجل عسكري، مسألة لا يسمح بها مكتب الرقابة في هوليوود. فالموضوع حساس ومرجح بالنسبة لهم، بعد أن انتحر عدد من العسكريين الأميركيين خلال «الحرب على الإرهاب» أكثر ممن لقوا حتفهم في القتال. لكن الغريب أنه ليس مسموحا بأن يردد رجل يصنع لنفسه جناحين من الحديد لكي يطير بهما، نكتة من هذا النوع في فيلم خيالي كـ«الرجل الحديدي»! يروي المؤلفان أنه كانت هناك أيضا مزحة أخرى من سطر واحد اعترضت عليها وزارة الدفاع في فيلم جيمس بوند «غدا لا يموت» Tomorrow Never Dies وذلك عندما يوشك بوند على القفز من طائرة نقل عسكرية، ويصبح من المؤكد أنه سيهبط في المياه الفيتنامية. وفي النص الأصلي للسيناريو كان رفيق بوند ضابط المخابرات المركزية يقول له «اتعرف ماذا سيحدث. سنتشرب حرب.. ربما تنتصر فيها هذه المرة». وبناء على طلب وزارة الدفاع، حذفت هذه العبارة من الفيلم. والغريب أن فيل ستروب ينكر وجود أي دور للبنتاغون في فيلم «غدا لا يموت»



أمير العصري
كاتب وناقد سينمائي مصري

لم يتضح مدى دور أجهزة المخابرات الأميركية ووزارة الدفاع، وما تفرضه من أشكال رقابية غير مباشرة على صناعة السينما والتلفزيون، سوى مؤخرا فقط. ففي 2013 صدر كتاب بعنوان «السي.إي.إي تذهب إلى هوليوود» للباحثة الأكاديمية تريشيا جنكينز، وفي 2016 صدر كتاب «في ظلال السرية: مكتب الخدمات الاستراتيجية ووكالة المخابرات المركزية في سينما هوليوود، من 1940 إلى 1979».

وقد كشف الكتابان الكثير عن دور وكالات المخابرات في هوليوود، إلا أنهما أغفلا أو قللا من أهمية التدخل في بعض الأفلام مثل «حرب تشارلي ويلسون» و«قابل الآباء» وغيرهما. وفي 2017 صدر كتاب «الأمن القومي السينمائي: الدليل الجديد على التدخل الحكومي في هوليوود» National Security Cinema: The Shocking New Evidence of Government Control in Hollywood من تأليف توم سيكر وماتيو الفورد، اللذين تمكنا من فحص الآلاف من الوثائق العسكرية والاستخباراتية بموجب قانون تبادل المعلومات. وقد كشفت هذه الوثائق للمرة الأولى عن التدخل واسع النطاق من قبل السلطات الأميركية في هوليوود، بما في ذلك القدرة على التلاعب بنصوص السيناريوهات أو حتى منع إنتاج أفلام تنتقد البنتاغون، ناهيك عن التأثير على بعض السلاسل السينمائية الشعبية التي أنتجت في السنوات الأخيرة.

على الرغم من المساعدات الأقل حجما التي تقدمها وكالة المخابرات المركزية لصناعة السينما الأميركية إلا أنها تتمتع بنفوذ كبير على بعض المشاريع التي تدعمها

يقول المؤلفان إن وكالات المخابرات العسكرية تدخلت في ما يقرب من 1800 فيلم ومسلسل تلفزيوني، الأمر الذي يطرح الكثير من التساؤلات، ليس فقط بشأن الطريقة التي تعمل بها أجهزة الرقابة على صناعة السينما والتلفزيون في الولايات المتحدة، ولكن أيضا حول دور هوليوود غير المعروف كإحدى دعائيات لجهاز الأمن القومي الأميركي.

ويقول المؤلفان في مقدمة الكتاب «عندما فحصنا لأول مرة، العلاقة بين السياسة والسينما والتلفزيون في مطلع القرن الحادي والعشرين، قبلنا الرأي التوافقي بأن مكتبا صغيرا في البنتاغون ساعد، حسب الطلب، في إنتاج حوالي 200 فيلم في تاريخ الإنتاج السينمائي، مع تدخل قليل للغاية في بعض نصوص السيناريوهات. ولكن.. كم كنا جاهلين. بل من الأنسب القول إننا كنا مظلنين».

لقد عثر كلاهما على أربعة آلاف وثيقة جديدة من وثائق البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية بموجب قانون تبادل المعلومات. وهي تظهر، للمرة الأولى، أن حكومة الولايات المتحدة تدخلت من وراء الكواليس في أكثر من 800 فيلم كبير وأكثر من 1000 عمل تلفزيوني. إلى جانب التدخل الهائل المباشر، يصف كتاب «سينما الأمن القومي» كيف فرض الجيش إعادة كتابة سيناريوهات بعض أكبر وأشهر الأفلام، بما في ذلك أفلام جيمس بوند، وسلسلة أفلام «المحولون»



الفيلم الكوميدي «قابل الآباء» أنتج بدعم من المخابرات المركزية